1231



صاحب الجلالة الملك يترأس افتتاح الدورة الأولى لمجلس النواب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات النواب المحترمين

أريد قبل كل شيء أن اهنئكم من صميم القلب على ما نلتموه من ثقة وما أنتم مستعدون لتحمله من أمانة من لدن الذين انتخبوكم وانتقوكم كخير ما ينتقى وكأحسن ما يختار.

إنكم حضرات السادة ستنتدبون لمدة ست سنوات، ولست في حاجة إلى أن أفسر لكم مرة أخرى ما هي الحكمة من ست سنوات بدلا من أربع سنوات.

وفي هذه الفترة من الزمن التي هي مهمة وقصيرة في آن واحد، سوف تتمكنون من الالمام بالمشاكل الداخلية والمشاكل الدولية.

ولي اليقين أن ما أوتي البعض منكم من تجربة وما أوتي البعض الآخر من طموح وتطلع إلى العمل بضمير مهني وأمانة، سوف يجعلكم في مستوى الأحداث والمسؤوليات.

كلكم يعلم أن العالم كله — ولا أقول العالم المتصنع أو العالم الذي هو في طريق النمو أو العالم الثالث — يتخبط الآن في أزمات متنوعة منها ما هو ايديولوجي، ومنها ما هو اجتماعي واقتصادي، ونظراً لتداخل الايديولوجية والمنهجية بالنظام وبالمنوال الاقتصادي والاجتماعي، يصعب الاختيار بين طريق وأخرى، ويبقى الانسان حائراً لا يعرف هل هذه المنهجية هي الصالحة أم الأخرى هي الصالحة ؟ لا أقول لكم لا تختاروا، إنكم لما جئتم إلى هذا البرلمان سبق أن اخترتم منهجا، وسبق لكم أن اخترتم طريقا وطريقة، ولكن أقول لكم : إنكم في مستوى المسؤولية التي انيطت بكم.

يجب عليكم أن تعلموا أنكم تعيشون في مكان منفتح على العالم بأقطاره وقاراته وحضارته وثقافته، أنتم الذين تمثلون هذا الشعب تعيشون في جهة ثم في قارة ثم في عالم، تعيشون فيه أولا بشخصيتكم وما لها من مقومات، وما لها من أصالة، وما لها من أمجاد، وما لها من معالم، معالم التاريخ وراءها وما تريد أن تزيده من معالم التاريخ في مستقبلها.

إذن تعيشون أنتم لا غيركم أنتم المغاربة، ولكن عليكم أن تنظروا بجد وجدية إلى ما هو حولكم، وإلى ما يجري في العالم من تجارب تعليمية وتكنولوجية، ومن مناهج اقتصادية ومالية، ومن حلول للمشاكل الاجتماعية، وتكاثر النسل.

عليكم إذن أن تتخذوا من هذا البرلمان مُشْرأَباً حتى يمكنكم أن تروا ما يجري هنا وهناك من تجارب، وتأخذوا الحسن منها وتتركوا الغير اللائق، ولا سيما — حضرات النواب — ان الاحصائيات أعطت أن هذا المجلس يتوفر على 153 نائباً أي نصف هذا المجلس متكون من نواب جدد، وهؤلاء النواب الجدد يتميزون بخصلتين.

الأولى شبابهم فعمر 150 نائباً منكم يتراوح ما بين 35 وبين 45.



الخصلة الثانية أن من بينكم 153 نائباً جامعياً، وللسائل أن يتساءل هل الشهادات أو التجربة هي التي تحكم في الواقع ؟ وهل هي التي تلتصق بواقع البلاد.

أقول نعم هما معاً، لأن التجربة وحدها لا تكفي، والشهادات وحدها لا تكفي، ولكن رصيد العلم والمعرفة يكون منكم في هذا البرلمان ذخيرة بشرية مهمة جدا.

فلي اليقين أنه لن تمضي ثلاث سنوات على اشتغالكم بهذا البرلمان حتى ينبثق منكم العشرات والعشرات من الشباب الذين كانوا قد اظهروا حنكتهم خارج البرلمان وبرهنوا عن مقدرتهم داخله، وبذلك اصبحوا مؤهلين لأن يستخلفوا من سبقهم في ميدان خدمة البلاد وتحمل المسؤولية والسهر على مصالح الخصوص والعموم صباح مساء.

فإذن واجبكم أو واجباتكم في هذه المدة مدة انتدابكم، أن تفتحوا أعينكم وأن لا تكونوا اسارى للكلمات الفارغة ولا للشعارات الفلسفية ولا للديماغوجيات التي قد رأينا ما أتت من نتائج، وما خلفت من مخلفات.

عليكم إذن أن تفتحوا أعينكم وأن تقارنوا دائما بين المصلحة الواقعية متخذين في ذلك لهدايتكم إلى أحسن سبيل وأقوم طريق — تجارب الذين يعيشون حولكم ويتخبطون في مثل مشاكلكم، ويعرفون مثل مطامحكم، ويعرفون كذلك مثل النقائص التي تنقصنا كبلد في طريق النمو.

ولكن إياكم ثم إياكم أن تنسوا أنكم مغاربة قبل كل شيء، وأن لكم أصالة، وأنكم تمتازون في العالم الثالث بتعدد أحزابكم ونقاباتكم وتياراتكم السياسية، وبكلمة أوضح تتمتعون بأثمن كنز ألا وهو الحرية، وتتمتعون بأثمن رصيد الا وهو الكرامة البشرية، فأريد دائما أن لا تنسوا أنكم أبناء بلد كريم فعليكم أن تبقوا كراما.

كنت قلت لكم في السنة الماضية حينما افتتحت آخر دورة : ان النائب المغربي يجب أن لا يكتفي بالنظر القصير فيما يخص بلدته أو قريته أو جهته أو بلده، فالنائب المغربي يجب أن يعلم أن وسائل النقل واللاسلكي ووسائل الاتصال بين البشر جعلت أن السياسة الخارجية لابد أن تؤثر في السياسة الداخلية والعكس بالعكس.

وهنا أريد بكيفية وجيزة أن أشرح لشعبي العزيز وبهذه المناسبة ما هي الدوافع التي دفعت بي إلى استدعاء قمة طارئة للدول العربية، كلكم يعلم أنه تقرر في مؤتمر القمة ببغداد أن تقطع الدول العربية علاقاتها بمصر بعد أن وقعت هذه الأخيرة على اتفاقية كامب ديفيد، وبقيت الأمور على ماهي عليه، وجاء المؤتمر الاسلامي المنعقد بالدار البيضاء الذي ليس هو مؤتمر الجامعة العربية، وقرر ارجاع مصر إلى حظيرة الدول الاسلامية، والرجوع إلى المؤتمر الاسلامي لا يقتضي حتما الرجوع إلى الجامعة العربية. فإذا به ونحن نسمع أن شقيقنا جلالة الملك حسين عاهل المملكة الأردنية الهاشمية قرر تطبيع العلاقات مع مصر العربية.

إننا بصفتنا رئيسا للدورة الحالية لمؤتمر القمة العربي، لأن المؤتمر العربي لم يجتمع منذ قمة فاس سنة 1982، ونظراً لهذا الواجب المعنوي والفكري الذي ما زال على كاهلنا، رأينا أن الظرف حان ليجتمع القادة العرب وينظروا في هذه البادرة، ويقول كل واحد منهم رأيه، وتخرج المجموعة العربية على الأقل موحدة الصفوف لا فل فيها ولا شقاق، لأنني كعربي أعرف اشقائي رؤساء الدول، بل وكذلك أعرف الشعوب العربية كما تعرف الشعوب العربية المغرب، ولكن الشيء الذي أخاف منه كل الخوف هو أن تصبح الأمة العربية أمام تكتلات، هذا التحق بفلان، وذاك التحق بفلان، والتكتلات العربية كما تعلمون — رأيناها في الماضي — تكون دائما وفي أغلب الأحيان تكتلات حادة وحارة في آن واحد، فكان إذن لزاما علي بصفتي رئيس المؤتمر أن ادعو اشقائي



واخواني ملوك ورؤساء الدول العربية ليجتمعوا للنظر في هذه المسألة.

ومن خلال الأجوبة التي وصلتني من أشقائي الذين أرسلت لهم رسلا تبين أن التحليلات كانت متباينة، وأن تقويم هذا ليس تقويم ذاك، وأن هناك خلافا في التقويم وفي الرأي وفي بعض المرات حتى في الميقات، هل نجتمع الآن أو بعد ثلاثة أسابيع أو بعد شهر، إن المغرب قام بواجبه كرئيس للمؤتمر، وتحمل كل واحد منا مسؤوليته كفرد وكرئيس دولة له كامل الحرية والسيادة في اتخاذ القرار الذي يراه نافعا لبلده وللأسرة العربية.

فالآن الضمير مرتاح، وما بقي علينا ملامة، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد تشاءمت أكثر مما يلزم، وأن أكون هذه المرة ربما مخطئا ولم أبق ذلك المتفائل المتشبث بتفاؤله، وعلى أي حال لنا اليقين وكامل الثقة في ثقابة رأي وفي حكمة اشقائنا الملوك والرؤساء، وفي أنهم سوف يبادرون حينما يرون جميعهم أن الوقت قد حان للاجتماع وللتشاور ولتبادل الرأي.

وقبل هذا الحدث قام اتحاد بين دولتين المملكة المغربية، والجماهيرية الليبية، وقد تحدثت عنه بتفصيل يوم 20 غشت، وما قلته في هذا المضمار كان كافيا وواضحا، وأظن أنكم سواء كممثلي أحزاب أو نقابات أو أفراد فهمتم أبعاده البشرية والانسانية والوحدوية المغربية الكبرى.

أذكر هذه النقطة في مجلسكم الموقر لأنكم من جملة أجهزة الاتحاد وكما تعلمون، هناك جهاز تشريعي وجهاز تنفيذي لهما اختصاصات تشاور واستشارة، ولكن دورهما مهم جدا، وقد اتفقنا مع أخينا العقيد معمر القذافي في الاتفاقية التي صادق عليها المغرب باستفتاء كاد يكون بالاجماع، ووافقت عليه الجماهير والمكاتب الشعبية في ليبيا على أن ثلة من البرلمانيين المغاربة سيكونون الجانب المغربي من المجلس التشريعي، وأن الجانب الليبي كذلك سيكون نظير الجانب المغربي كماً وكيفاً، وسوف يتبادلون الزيارات والتشاور والتجارب والبرامج أو المناهج، كما تقرر أن يكون لهذا الاتحاد أداة تنفيذية تتكون من الحكومتين المغربية والليبية التي تقوم هي أيضا بدورها بزيارات دورية لليبيا أو المغرب.

وقد قررنا كأول خطوة من المجلس التمثيلي المغربي وبمجرد ما تتكون فرقكم ومكاتبكم تعيين ستين عضواً من الهيآت المكونة للبرلمان، لأن الجانب الليبي لديهم أيضاً ستون عضواً، وسألتقي بهم شخصياً لأعطيهم الارشادات والتوجيهات حتى نكون ان شاء الله قد زدنا لبنة شعبية ديمقراطية أخرى لتوطيد ذلك الاتحاد ولنجعله قادراً على أن يقف على رجليه، وأن نعطي النتائج الايجابية التي هي وحدها الكفيلة بأن تظهر للجميع حسن نياتنا، وأن الاتحاد بين الدولتين ليس قائماً على معاداة فلان أو فلان، بل حكمته وفلسفته هو أن يكون الحجرة الأولى ولكن ذات ديناميكية حتى تظهر حسن نياتها ونزاهة مقاصدها.

وأخيراً حضرات النواب المحترمين أريد أن أقول لكم شيئاً، وهو أن الكل يعتقد أن الحكومة تتكون من الجهاز التنفيذي.

بالنسبة إلي لا، حينما يقول رسول الله موسى عليه السلام ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي﴾ فالمقصود من الوزير هو المعين اشتقاقا من المعين على حمل الثقل أو المسؤولية، ولا أقول الوزير بحيث ان الوزير هو المعين، فحينما أكون في اجتماع المجالس الوزارية وانصت إلى رأي أحد الوزراء أو أقول لفلان ما هو نظرك في هذا الموضوع ؟ يكون وزيراً لي أي معينا لي، فعليكم أن تعلموا أن كل رأي ادليتم به أو كل نهج اقترحتموه أو كل اختيار اخترتموه في قاعتكم هذه هو بمثابة رأي مجلس حكومة يترأسه ملك المغرب، فأنتم وزراء بالنسبة

إلي كما هو الجهاز التنفيذي، فلهذا يجب عليكم أن تطرقوا باب مكتبي ليس كأفراد بل كفرق وكجماعات وكلجان، كلجنة المالية مثلا، أو لجنة الشؤون الاقتصادية، أو لجنة الشؤون الاجتماعية، أو لجنة الشؤون التعليمية ، وعليكم أن تعلموا أن هذه هي الشورى الحقيقية، فالشورى الحقيقية هي أن تأخذ بالرأي وتعمل به اما بكله أو ببعضه أو بأحسنه، والشورى الحقيقية لا يمكن أن تقتصر على عشرين أو ثلاثين وزيراً.

المغرب منحه الله ثلاثمئة وستة من الممثلين أي 306 من الأصوات يمثلون قاعدة سياسية أو بشرية، عليهم أولا أن يقدموا رأيهم وعلي أنا ثانياً أن آخذ ما أرى فيه من الصواب وأن أناقش من قال رأيا حتى اظهر له أن النصف الثاني ليس من الصواب، ولكن لست أنا الذي سأبحث عنكم.

أريد في هذا المنعطف التاريخي من ديمقراطيتنا ــ وقلتها لكم في آخر خطاب القيته في الدار البيضاء، علما بأننا ننتقل في هذه الست سنوات من جيل إلى جيل في المسؤولية ــ أن نطبع هذه المدة الامتدادية بطابع الحوار من أعلى القمة إلى القاعدة، الحوار بينكم وبين الحكومة، الحوار بين الحكومة وبين المصالح غير الممثلة هنا، الحوار أخيراً بينكم وبين من ولاه الله أموركم وجعله في ملككم وخادمكم الأول في آن واحد، فعليكم اذن أن تطرقوا بابنا وتطلبوا رأينا، وأنا أحمد الله أن كثّر من وزرائي وكثّر من مستشاري.

ولي اليقين أن هذه هي الوسيلة الوحيدة لينضج هذا النصف الثاني من البرلمانيين الشباب في مدرسة الحسن الثاني، اذا كانت هناك مدرسة للحسن الثاني فمدرسته بكل تواضع هي مدرسة محمد الخامس رحمة الله عليه، إن مدرسة محمد الخامس كانت مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم.

إن الجل فينا لا يعرف من النبي صلى الله عليه وسلم إلا حياته كرسول وداعٍ ومشرع، أما حياته الديبلوماسية والسياسية فتبقى مجهولة، وأنا في انتظار من ستحدوه غيرته على دينه ومظاهر دينه إلى أن يكتب في هذا الشأن.

المدرسة الحقيقية للمغرب هي أولا لا تسامح في مقدسات الدين الاسلامي ووحدة المذهب ولغة الضاد والوحدة الترابية، هذه أمور لا يمكن مناقشتها ولو ثانية واحدة، النقطة الثانية ادفع بالتي هي أحسن، وحينما أقول بالتي هي أحسن لا أقصد التملق؛ ادفع بالتي هي أحسن معناها ادفع بالرأي الأحسن، والأدلة الأكثر اقناعاً، تلك هي التي هي أحسن، وهي بصيغة التفضيل التي تبتعد عن التملق والتزلق والمداهنة، «ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم». والصبر في السياسة واجب.

اعلموا رعاكم الله أن السياسة والفلاحة مدرسة واحدة، فالنتائج في السياسة الخارجية كنتائج الفصول، فكل ثمر ينضج في وقته، فالأمور بمواقيتها، فمَن حاول أن يجني قبل الوقت أضاع الفاكهة، ومن لم يجن إلا بعد فوات الوقت أضاع كل شيء من الجهد الأول ومن الجهد الثاني.

فلهذا تتطلب السياسة الخارجية التروي وبعد النظر والوفاء للأصدقاء، ولو لم يكن هناك تبادل الوفاء من جهة لأخرى فيجب على الانسان أن يبقى وفيا حتى إذا رأى وجهه أمام المرآة كل صباح لا يجد ما يؤاخذ عليه نفسه ويذهب إلى عمله مرتاح البال والضمير.

أولا ــ مدرستنا في السياسة الخارجية هي عدم التناقض، فالمغرب منذ زمن ومنذ قرون اختار معسكره،



معسكرنا هو التشبث بالدين، اذ يستحيل أن نكون ملحدين أو ماركسيين. اخترنا أن نكون ونبقى ونموت مسلمين إلى أن تقوم الساعة، هذا هو اختيارنا.

ثانيا ــ اخترنا منذ مدة نحن المغاربة اختياراً لا تراجع فيه، الا وهو البيعة، الأسر التي تعاقبت على عرش المغرب أخذت بهذا الاختيار، والبيعة أخذ وعطاء مستمران، والبيعة هي تعاقد بين الأمة وبين ملكها، فلا يمكن له أن يفرض عليها شيئاً لم ترده، ولا يمكنه أبداً أن يغصبها حقا من حقوقها، هذا هو الاختيار الثاني.

الاسلام والترابط المبني على تعاقد، المبني على ارادتين حرتين لم يسبق للمغاربة أن بايعوا ملكا بدون رضاه، ولم يسبق أن نجح ملك فرض على شعبه مبايعته.

والنقطة الثالثة في اختياراتنا هي وجودكم هنا، عشرة أو أربعة عشر حزبا ونقابة، إذن اخترنا الحرية، ليست الحرية الفوضوية، بل الحرية المنظمة التي لها أوقاتها ومكانها، حيث يمكنك أن تقول ما يجب كما تريد في نطاق المقدسات والاختيارات السالفة الذكر.

هذه هي مدرستنا ليس فيها مستوى ابتدائي ولا ثانوي ولا عالي، مسائل كبرنا فيها ولم ننتبه لها وهي قواعد معيشتنا يوميا سواء في مكاتبنا أو ندواتنا أو في بيوتنا أو في علاقتنا مع أصدقائنا.

وأخشى أن أكون قد اطلت، وأكرر هنا مرة أخرى أن تكون هذه السنة بالنسبة لكم سنة عمل، ولكن ليس بعيون مغمضة بل بعيون مفتوحة على ما يروج حولكم في العالم وعلى التغييرات الجذرية التي قد تكون مؤلمة، ولكن لابد من اختيار، أريد كذلك أن تكون هذه السنة سنة تدريب وتكوين للطبقة الناشئة، وإنني أعتمد على النواب الشباب 152 منكم ليكونوا في أقرب وقت هم الخلف لهؤلاء الذين عاشرتهم كولي العهد أيام الاستعمار، وعاشرتهم ونحن دائما تحت ارهاب السجن أو النفي أو القتل، وعاشرتهم بعد الاستقلال.

فعليكم أن تأخذوا بعين الاعتبار ماقام به من ربوكم سياسيا، وعليكم أن تكونوا خير خلف لخير سلف.

ولنختم بهذه الآية القرآنية ونقول : ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾ صدق الله العظيم.

الجمعة 16 محرم 1405 ــ 12 أكتوبر 1984